

4 الخطأ

«كان بإمكانني أن لا أرتكب هذا الخطأ»

من لا يعرف المشاعر التي تعترينا فجأةً عندما نرتكب خطأً. إنها مشاعر الذنب، والخجل وتأنيب الضمير، الشعور بالنقص أو الإخفاق والخشية من الظهور بالغباء والخوف من أن لا نصبح مرغوبين بعد الخطأ ؟ غير أن الذي يؤرقنا في الغالب أكثر من الخوف ذاته هو الخوف من ارتكاب الأخطاء. إنه خوف يرافقنا دائماً باللاوعي، ويثبط نشاطنا وحيويتنا ويطمس مقدراتنا ويعيق تطورنا ويجعل مبادهتنا حبيسة. ولا ينشأ كل ذلك عن أننا نرتكب الأخطاء بصورة مخيفة، بل لأننا لا نقوم بإصلاح الخطأ بشكل صحيح، ولأننا نعتبر الأخطاء مسألة خطأ ولا ضرورة لها.

ورغم أننا جميعاً نرتكب أخطاءً وكل واحد منا يعرف ما هي الأخطاء، فلا يبدو أن أحداً يعرف بطريقة واعية، ما الذي تعنيه «الأخطاء» في الواقع وأين يكمن المعنى والهدف من خطأ ما. وهذا هو السبب الحقيقي لخوفنا، لأن إخفاقنا العقلي لا يوجد في الأخطاء التي نتعرض لها، وإنما في حقيقة أننا نرتكب

نعم، ولكن...

كلّ خطأ تقريباً بصورة نصفية، لأنّه يفوتنا بعد الخطأ أن نعطي أنفسنا الشيء الذي كان مفقوداً لنا قبل الخطأ، ولما نأخذ من كلّ، خطأ يمسّ ذاتنا، معناه لأنّ هدفه لا يتحقق فقط إلاّ إذا أكملناه لنهائيه.

وبدلاً من البحث عن السبب العميق الكامن وراء الخطأ لكي نعرف، ما الذي نعتقد، نكتفي بالاعتراف أننا قمنا بشيء خاطئ، ثم نقوم بقطع الخطأ، كي لا يكون وراءنا شيء مزعج أو مخزٍ أو غير ضروري. ويبدو، كما لو أننا نقطع لعبة ما قبيل الهدف كي نحصل على الربح المستحق والأكيد، ويترتب على ذلك أن نبدأ باللعبة دائماً من نقطة الصفر، ونعيد الأخطاء نفسها دائماً لأننا نعتقد الربح، أيّ المعرفة الواعية والتي بسببها نرتكب الأخطاء بدون وعي. وليست الأخطاء هي التي تخيفنا، إنّ ما يخيفنا هو الموقف المعكوس تماماً الذي نتّخذه من الأخطاء والذي نفسّر فيه تعبير «الخطأ» بطريقة غير صحيحة بغضّ النظر عن اللغة التي يرد فيها هذا التعبير. فبدلاً من أن نفهم الخطأ، كشيء مفقود، يجري فهمه في كل مكان ودائماً على أنّه خاطئ، وإنّه في الواقع غير ضروري.

لكن الخطأ لم يكن غير ضروري، لأنه كان بالإمكان تجنبه، وإنما لأننا تجنّبنا أن نفعل بعد الخطأ، الشيء الذي كان على ساعة الشدّة أن تغيّر مجراه، كي لا يرتكب نفس الخطأ مرة ثانية.

لا يوجد خطأ غير ضروري، الخوض في تجربة للتوصل إلى معرفة جديدة، كنا نفتقدها. وبدلاً من أن نعطي أنفسنا هذه المعرفة التي من شأنها أن تدفعنا إلى الأمام، نستعمل الخطأ للعكس تماماً: أي لكي نحطم أنفسنا ونوبخها: كم كنت غيباً! يا للهول من هذا الغلط! أما إذا نظرت إلى الأخطاء على أنها شيء لم نكن نحتاج إليه بالفعل، ثم نخادع أنفسنا، أننا كنا قبل الخطأ أذكياء كما نعتقد بعد ذلك لكننا في الحقيقة لسنا هكذا، لأنه ما زال شيء ما مفقوداً في وعينا. وننفي به الإدراك الواعي لما كان السبب من دون وعي في ارتكابنا الخطأ.

وهكذا هي المشاعر الموجودة فينا في ما يتعلق بالأخطاء وكذلك على نفس المنوال العكس منها، التي نستطيع أن نكتبها من خلال التجربة. وبدلاً من الإحساس بالشجاعة والاستعداد، للقيام بأخطاء قدر الممكن - لكن، لا نرتكب نفس الخطأ مرتين - فإن الخوف ومشاعر الخوف تؤزقنا.

أما ما يتعلق بالخوف فلا يكمن سببه، كما نعتقد في كيف سيكون ردُّ الفعل من الخارج على أخطائنا، وإنما يُعزى إلى أي مدى نتعامل بخوفٍ مع أخطائنا. وما يتعلق بمشاعر الذنب فإن لهذه شرعيتها بغض النظر عن أنه لا يوجد ذنب يفهم من طرفنا على هذا النحو.

والخطأ هو أننا نقرن هذه المشاعر في علاقتها مع الناس الآخرين، لأننا نفتقد إلى الوعي، بأننا ما زلنا نشعر بالذنب قليلاً

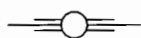
نعم، ولكن...

لخطأ ما لم ينتهِ: وهذه المعرفة هي التي تبطل الخطأ. وحين نعي فعلاً بعد خطأ بالشئ الذي نفتقده، لكي يمكن القيام به بشكل عام، ثم نستوعب ذلك في وعينا فنذكر عندئذ الأخطاء ونستغلها، كما هي عليه في الحقيقة: كمساعدات للتطور تدفعنا إلى الأمام، وبكل معنى الكلمة كصاغات للعناء والشدة.

ولا ريب في أنك تعرف هذه المقولة ... «كان بودي لو أهدي لي هذا الخطأ» وإذا ما قُيِّض لك استعمال هذه المقولة، لكان رأيك بالتأكيد، أنه كان بودي الاستغناء عنه.

لكن لن يكون باستطاعتك الاستغناء عن الخطأ إلا إذا أهديته لنفسك حقاً وأخرجت المعلومات والمعارف التي يتضمنها.

وقد تكون الحيرة التي تحسُّ بها الآن أفضل شرط كي تجرَّب شيئاً جديداً، لأنه لو جرى خلط التفكير والسلوك مع بعضهما فستنشأ فرصة جيدة لإعادة ترتيبهما من جديد.



أتذكر خطأ ارتكبته مؤخراً، تذكر بهدوء أيضاً كيف أنك حنقت على نفسك بعدها أو شعرت بالذنب، ثم أخذت على عاتقك أن لا تقوم بهذا الخطأ، كما هي الحال دائماً.

مثال على ذلك: أردت أن تقوم بعمل ما ، ولم يكن عندك إحساس طيب لذلك، ولكنك قمت به رغماً عن ذلك. لم تسر الأمور كما يجب وغضبت من نفسك أشد الغضب: «تباً،

كنت أعرف هذا من اللحظة الأولى.» ثم تقسم، أن لا تعود إلى هذا الخطأ مرةً أخرى، لكن، كم مرةً فعلت الشيء نفسه؟

حتى ولو أن الخطأ حصل لك سهواً ثم تفكر بهذا الخطأ، لماذا تفكر عندئذ؟ تفكر بما افتقدته، أو لم قممت به خطأ؟ إذا كان تفكيرك بما قممت به خطأ، فلن يضير ذلك شيئاً، أن تنظر إلى الأخطاء في المستقبل بوعي جديد: «وارتكاب خطأ يعني اكتساب خبرة للتوصل إلى معرفة كنت افتقدتها. ولأنك ارتكبت الأخطاء المنوه عنها مرة، فمن المستحسن أن تبدأ بـ:

إعرف خطأك حقيقة، تمعن به واسأل نفسك مع اظهار استعدادك، أن لا تكون قممت بهذه التجربة دون طائل وأن لا تبقى أسيراً لشعور الذنب: «ما الذي كنت افتقد إليه تحديداً والذي كان من شأنه أن يحميني من ارتكاب الخطأ؟ وما الذي سيساعدني في المستقبل كي لا أكرر الخطأ؟»

وستكون الإجابة على الأرجح عن السؤال الأول: «لقد تغافلت عن سماع صوتي الداخلي». أو: «لم أعر صوتي الداخلي الاهتمام حقاً». كنت تعرف ذلك آنذاك، بعد أن اتضح، أن الخطأ قد ارتكب. ومع ذلك لأي شيء كانت هذه المعرفة جيدة. ما عدا عتاب وتأنيب الذات؟

إن مجرد معرفة أن الذي قممت به خطأ لن يقدم لك عوناً إضافياً إذاً لا تتراخ. استمر في التقصي والسؤال حتى تعي حقاً ما الذي كان ينقصك.

نعم، ولكن...

ومن شأن الإدراك أولاً، أنه كان ينقصك شيء فعلاً، ومن ثم معرفة ما ينقصك، أن يزيلا الخطأ ويحولا العتاب على أنك قمت بشيء خاطئ إلى المعلومة التي كانت غير موجودة. وحين يأتي الجواب، مثلاً: «في الواقع كنت قد سمعت الصوت المحذر غير أنني لم آخذ به ولم أعمل طبقاً له... والآن أعرف ما الذي ينبغي عليّ القيام به في المرة المقبلة».

وفقط عندما تكون أعطيت نفسك ما تفتقده واستعملت الخطأ في أن تسمع صوتك الداخلي في الحقيقة، لكن دون الإصغاء له، حينئذ لن تفعل ذلك ثانية. والآن تعرف من المحتمل لأول مرة بشكل محسوس بفضل الخطأ الذي جعلك تعي، أنه من الصواب احترام الإشارات الداخلية، ما ينبغي عليك القيام به في مثل هذه الحالات مستقبلاً.

وكن على ثقة أنه لن يكون سهلاً من الآن فصاعداً أن تتجاهل نفسك، إذ أنه من الأهمية بمكان أكثر تشجيعاً وإبداعاً أن تكتب معرفة بدلاً من التأنيب. وأيضاً، فإنه أسهل وأكثر فائدة أن تذكر المقدرة بدلاً من النقص.

وقد يكون بمقدورك، على هذا المنوال، أن تدرك بشكل استرجاعي كيف حلّ محلّ الغضب الساري فهمٌ جديدٌ تماماً لعملك وقتذاك. ولربّما تستطيع أن تستشرف الآن كيف تحسُّ بنوع من حب الاستطلاع بدلاً من الخوف الباطني من الخطأ التالي. ومن الجائز أن تستطيع القول في يوم من الأيام عن

نفسك : « لا داعي لأن ارتكب الخطأ لأنني لم أعد أفتقد الآن لهذا الخطأ». أو: «والآخرون يرتكبون أخطاءً، فقط . أنا أمتلك خبرات واسعة في هذا الشأن».